

شعب الإيمان

1624 - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن أحمد بالويه ح و أخبرنا : أبو الحسين بن الفضل القطان ثنا أبو سهل بن زياد قال ثنا إسحاق بن الحسن الحربي ثنا حماد بن سلمة أنا ثابت البناني عن أنس بن مالك ٧ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما و الرجل يحب الرجل لا يحبه إلا الله و الرجل أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا . أخرجه مسلم في الصحيح من وجه آخر عن حماد . قال البيهقي C : .

فأبان صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر أن الشح بالدين من الإيمان لأن ذكر الحلاوة مثل الإيمان و أراد أن الشحيح بدينه كالمتمتعم بالشئ الحلو فكما أن الراغب في الإيمان لا يسلم له مقصوده منه إلا و أن يكون شحيحا به فإنه إذا شح بالإيمان لم يأت بما يفسده عليه كما أن من وجد حلاوة الحلو لم يأت بما يبطلها عليه . و الله أعلم .

و يدخل في هذا الباب ما اقتضه الله سبحانه و تعالى علينا من خبر شعيب النبي عليه السلام إذ قال له قومه : .

لنخرجك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا . فقال لهم : .

{ أو لو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها { إلى آخر الآية .

فإن في هذا الباب عدة معان مرجعها كلها إلى الشح بالدين .

أحدها : أن شعيبا عليه السلام سمى مهانته المستكبرين من قومه نجاة و قد علم أن ضد النجاة الهلكة و من كان عنده أن الكفر هلكة و الإيمان نجاة لم يكن إلا شحيحا على دينه . و الثاني : أنه أشار بقوله : على الله توكلنا إلا أنه قد فوض أمره إلى الله تعالى فإن عصمه من الجلاء عن الوطن فذلك فضله .

و إن جلاءهم و ما يهتمون به من إخراجهم بالجلاء أحب إليه من مفارقة الدين و هذا من الشح بالدين لأن الله تعالى جعل الجلاء عن الوطن بمرتبة القتل .

و الثالث : أن شعيبا عليه السلام فرغ إلى الله و استنصره و دعاه كما يدعو في الشدائد إذا عرضت له و الخطوب إذا نزلت فقال : .

{ ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق } .

استعظاما منه لما كان يخاطب به و تأملا أن يدافع الله عنه أذية الكفار فلا يسمعه في دينه ما يشق عليه سماعه و هذا أيضا من الشج بالدين و معلوم أن الله تعالى يقيض علينا هذا و مثله لتأدب بآداب الذين يصف لنا سيرهم ثم يمنعها و بيان مذاهب الذين يصف لنا طرائقهم ثم يدعها و يتبع الأحسن من الوجهين دون الأقبح منها لذا قال عز و جل : .

{ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه } .

فصح أن الشج بالدين من أركان الدين لا يجد حلاوة الدين من لا يجد الشج به في قلبه . و الله أعلم .

و هذا هو الأمر الذي يشهد العقل بصحته لأن من اعتقد دينا ثم لم يكن في نهاية الشج به و الإشفاق عليه كان ذلك دلالة على أنه لا يعرف قدره و لا بين موضع الخط لنفسه فيه و من كان الحق عنده حقيرا لم يسكن الحق قلبه و بالله العصمة .

ثم إن الشج بالدين ينقسم قسمين : .

أحدهما : الشج بأصله كيلا يذهب .

و الآخر : الشج بكماله كيلا ينقص ألا ترى أن الله تعالى كما مدح شعيبا عليه السلام و أثنى عليه بأنه شج على دينه فلم يفارقه مع استكراه قومه إياه على مفارقتة و كذلك قد مدح يوسف عليه السلام بأن استعصم حين راودته امرأة العزيز عن نفسه و قال : . { رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه } .

فبان أن الشج على شعب الإيمان كيلا ينقص كالشج على أصله كيلا يذهب و هذا سبيل كل مفتون به لأن الشحيح بماله كما شج بجماعته فشج بابعاضه الشحيح بنفسه يشج بأطرافه كما يشج بحمله مدة و هكذا الدين و بالله التوفيق .

و من الشج على الدين أن المؤمن إذا كان بين قوم لا يستطيع أن يوفي الدين حقوقه بين طهرانيهم و يخشى أن يفتنوه عن دينه و كان إذا قاربهم يجد لنفسه مأمنا يتبوأه و يكون فيه أحسن حالا من بين هؤلاء لم يقم بين طهرانيهم و هاجر إلى حيث يعلم أنه خير له و أوفق قال الله تعالى : .

{ و من يخرج من بيته مهاجرا إلى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله } . و على هذا الوجه كانت هجرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من ديار الكفار و ليلقوه و يصحبوه و يهاجروا معه ثم هذا الحكم فيمن لم يمكنه اظهار دينه في موضعه باق بعده و قد تكلمنا على هذه المسألة في كتاب السير من كتاب السنن .

و روي في كتاب دلائل النبوة ما قاسى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من الشدائد و المكاره لمحاورة الكفار حتى أمروا بالهجرة إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة و الله تعالى

يوفقنا لمتابعة سلفنا فنعم السلف كانوا لنا Bهم